الاستشارة الفلسفية وتطبيقاتها عند أوغسطين

د. سوزان عادل فهمي عبد المعطي(*)

الملخص:

تتناول هذه الدراسة الاستشارة الفلسفية عند أوغسطين؛ حيث يعد أوغسطين من أشهر آباء الكنيسة الكاثوليكية، فقد كان لاهوتيا وفيلسوفاً أخلاقيا ومعاصر في كل الأجيال وحيا في كل العصور التي تلته. عالج أوغسطين الكثير من القضايا والمسائل المهمة المرتبطة بالاستشارة الفلسفية وطبقها علي فلسفته، ومن هذه القضايا البحث عن اليقين، الحوار، الخطيئة،الأخلاق، والمدينة الأرضية، والمدينة السماوية.

الكلمات الدالة: الاستشارة الفلسفية، البحث عن اليقين، الحوار، الخطيئة، الأخلاق، المدينة الأرضية، المدينة السماوية.

This study deals with the philosophical advice of Augustine. and Augustine is considered one of the most famous fathers of the catholic church.He was a theologian, philosopher , moralist contemporary of all generations and alive in all ages that followed him.

Augustine dealt with many important issues and questions related to philosophical consultation and applied them to his philosophy , and among these issues is the search for certainly , dialogue , sin, morals ,the earthly city, and the heavenly city.

Key words: Philosophical consultation ,The search for certainly , Dialogue , Sin , Ethics, The Earthly city, and The Heavenly city.

مقدمة:

قديما بدأت الفلسفة علي هيئة علاجية ترمي إلي إحداث تحول عميق في طريقة الفرد في الرؤية وفي الوجود وتحول في رؤيتنا للعالم وتحول لشخصياتنا.

(*) مدرس الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط – كلية الآداب – جامعة حلوان.

كما اهتمت أيضا المدارس الهلينستية بفكرة عملية مهمة، وهي أن الفلسفة طريق لمواجهة المشكلات المؤلمة في الحياة الإنسانية؛ حيث جعلت الإنسان يتحرر من قلق الموت والتشاؤم إلي حالة الوعي بالذات وتحقيق السلام والأمن والحرية؛ عن طريق التفكير في الغايات التي توصلنا للسعادة والفضيلة في الحياة، وبذلك تعد تطبيق عملي للاستشارة الفلسفية.

ويعد أوغسطين من أهم فلاسفة العصور الوسطي الذين أرسوا الأفكار الجوهرية لأهمية الممارسة الفلسفية في الحياة، والتي هي أساس الاستشارة الفلسفية وعبر عنها بلغة الحوار.

ومن خلال دراستنا لأهم كتب أوغسطين اللاهوتية والفلسفية نجد أنه من أهم المسائل الأساسية والرئيسة التي طرحها أوغسطين في مؤلفاته، والتي تدور حول الاستشارة الفلسفية هي الحوار ورؤية العالم من خلال الخطيئة والحرية الإنسانية والفضيلة والسعادة والعدالة والسلام في المجتمع الإنساني. وعبر أوغسطين عن ذلك من خلال الظروف التي مر بها في حياته وحالة القلق والاضطراب كل ذلك جعله يشعر بحياة ليس لها قيمة.

وهناك الكثير من المصادر الفكرية التي أثرت علي فكر أوغسطين، والتي أفادته كثيرا في بناء فكره حول الاستشارة الفلسفية، وهذه المصادر لم تحمل نفس العنوان؛ ولكنها ساهمت بشكل كبير في تكوين أفكاره، ومن هذه المصادر تأثره بقراءاته لمحاورات شيشرون الفلسفية وأيضا أفلوطين والديانة المانوية بحثا عن الحقيقة واليقين.

ومن منطلق هذه المقدمة المؤكدة أهمية موضوع هذا البحث، أقدمت علي دراسة الاستشارة الفلسفية عند أوغسطين؛ والذي يعد أحد البارزين الذين خاضوا بالبحث والدراسة العميقة في هذه الفكرة وتناولوها بشيء كبير من التفصيل.

ويرجع سبب اختياري إلي هذا الموضوع:

1- يعتبر أوغسطين من أهم فلاسفة العصور الوسطى الذين كان لهم دورا بارزاً في الاستشارة الفلسفية في تلك الفترة وأثّر على من جاء بعده.

2-أثرت الاستشارة الفلسفية علي فكر أوغسطين الفلسفي، وهي من أهم وأدق المسائل التي شغلها أوغسطين، وأولاها عناية خاصة في مؤلفاته الفلسفية واللاهوتية، وارتبطت بالكثير من الآراء والأفكار التي خاض فيها بالبحث والدراسة.

ومن خلال ما سبق ذكره نطرح الإشكالية التالية:

ما هي الاستشارة الفلسفية عند أوغسطين وكيف طبقها؟

وبناء علي هذا نطرح التساؤلات الفرعية التالية: -

1-ما هي مصادر الاستشارة الفلسفية عند أوغسطين؟

2-كيف طبق أوغسطين الاستشارة الفلسفية ؟

3-ما هي أهداف الاستشارة الفلسفية عند أوغسطين؟

المناهج المستخدمة:

وقد اعتمدت الباحثة علي المنهج التحليلي؛ وذلك نظرا لما تتطلبه طبيعة البحث من عرض وتحليل لأفكار وآراء أوغسطين في الاستشارة الفلسفية. مع استخدام المنهج النقدي كلما دعت الحاجة إلي ذلك.

ويشتمل هذا البحث علي مقدمة ومدخل وثلاثة مباحث وخاتمة وقائمة من المصادر والمراجع.

أما **المقدمة** فتناولت التعريف بالبحث، أهميته، المنهج المستخدم فيه والفرضيات الموجهة للدراسة.

أما **المدخل:** فقد تناولت تعريف الاستشارة الفلسفية.

أما **المبحث الأول فعنوانه" مصادر الاستشارة الفلسفية عند أوغسطين"** وقد عرضت الباحثة فيه الكثير من المصادر الفلسفية التي تأثر بها أوغسطين بالسابقين عليه، والتي أثرت علي فكره تجاه الاستشارة الفلسفية.

ويشمل هذا المبحث علي ثلاثة عناصر:

أما العنصر الأول فعنوانه" مرحلة الخوف القلق عند أوغسطين "

وأما العنصر الثاني وعنوانه" مرحلة الشك عند أوغسطين "

أما العنصر الثالث فعنوانه" مرحلة الاطمئنان عند أوغسطين".

والمبحث الثاني فعنوانه" تطبيقات الاستشارة الفلسفية عند أوغسطين" فقد تناولت الباحثة شرح تطبيقي للاستشارة الفلسفية في الكثير من أفكار وآراء أوغسطين اللاهوتية والفلسفية.

ويشمل هذا المبحث علي أربعة عناصر:

أما العنصر الأول وعنوانه" الاستشارة الفلسفية والبحث عن الحقيقة"

وأما العنصر الثاني وعنوانه" أثر الحوار في الاستشارة الفلسفية عند أوغسطين"

أما العنصر الثالث فعنوانه" الحوار وعلاقته بالحرية الإنسانية"

وأما العنصر الرابع وعنوانه" رؤية أوغسطين للعالم المعيش"

أما المبحث الثالث والأخير فعنوانه" أهداف الاستشارة الفلسفية" وقد بينت الدراسة أهداف الاستشارة الفلسفية والغاية من دراستها عند أوغسطين.

وأما **الخاتمة** فقد ضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة خلال هذه الدراسة.

مدخل:

قديما بدأت الفلسفة علي هيئة ولع علاجي يرمي إلي إحداث تحول وتغير عميق في طريقة الفرد في الرؤية والوجود، وهذا التغير هو تغير في رؤيتنا للعالم، وتغير في شخصياتنا. كانت المدارس الفلسفية قديما تنظر إلي الفلسفة علي أنها مجرد تدريس لنظرية مجردة، أو ما يطلق عليها بفن العيش،" ومن هذه المدارس (المدارس الهلينستية)؛ حيث كانوا يشككون في طلب المعرفة من أجل ذاتها، ويبحثون عن شيء أعلي مثل الفضيلة والسعادة، وهي بذلك ترفع الفرد من حالة القلق إلي حالة تحقيق الذات ورؤية العالم من حوله حتى يصل إلي السلام والحرية والعدالة والمحبة؛ وبذلك يعدون أنفسهم أطباء الحياة الإنسانية" [1]. ونجد أن الاستشارة الفلسفية هي محاولة لإعادة الفلسفة إلي هذا الدور كعنصر جوهري في معيشة الفرد في الحياة اليومية.

---

[1] بيتر ب رابه: الاستشارة الفلسفية (النظرية والتطبيق)، نقله إلي العربية عادل مصطفي، القاهرة، دار رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2021، ص 31.

وتعرف الاستشارة الفلسفية بأنها: " العناية الفلسفية بالنفس" و" أنها نقاش فلسفي مستقل عن أي شيء يود العميل أن يناقشه مع فيلسوف، وهذا العميل لابد أن يكون مشتبك بالضرورة في حوار تعاوني مع المستشار يقتضيه تمحيص ذاته داخل ما يسمي برؤيته للعالم"[1].

هناك من يري بأن الاستشارة الفلسفية تساعد الأفراد علي أن ينموا قدراتهم في تفكيرهم، وهناك من يعتبرها علاجا وهناك من لا يعتبرها علاجا، وتوصف بعض الحالات بأنها تعلم العملاء كيفية العيش في الحياة.

تستخدم الاستشارة الفلسفية في مجالات كثيرة مثل:المشورة الأكاديمية، المشكلات الدينية والهوية الذاتية،المشكلات الروحية، أسئلة معني الحياة والوجود، والمسائل الاجتماعية والسياسية والأسرية وغيرها، ومن هنا نجد أن أوغسطين قد استخدم الاستشارة الفلسفية في المشكلات الدينية،الروحية، الأخلاقية، والسياسية و الاجتماعية، ومعني الحياة من خلال رؤيته للعالم وارتباط هذا العالم بالخطيئة والأخلاق والحرية والسلام في المجتمع.

ويعد أوغسطين أيضا من أهم فلاسفة العصور الوسطي الذين أرسوا الأفكار الجوهرية لأهمية الممارسة الفلسفية في الحياة، والتي هي أساس الاستشارة الفلسفية وعبر عنها بلغة الحوار، وهي بذلك تعد تطبيق عملي عند أوغسطين، ولكن أوغسطين لم يستخدم مصطلح الاستشارة الفلسفية نفسه لأنه مصطلح معاصر؛ ولكنه عبر عن الاستشارة الفلسفية من خلال رؤيته للعالم بما فيه من سلوك الفرد وأفكاره وأسلوب وجوده، أو وجود الإنسان في الحياة، أو ما يمكننا بأن نسميه الفهم المعاش.

إن مصطلح الاستشارة هو مصطلح حديث براجماتي هدفه التعامل مع ما يهم الناس في حياتهم اليومية؛ وهناك بعض الفلاسفة قد وصفوا الفلسفة بأنها علاجا للكرب حيث ظهر مقال بعنوان "الفيلسوف الاستشاري" كتبه سيمون هيرش. وكان يري" أن عملاءه لا

---

[1] نفس المرجع، ص 40.

ينظرون إلي أنفسهم علي أنهم أفراد ابتلوا بنوع من المرض؛ بل إنهم مستثمرون أذكياء يريدون الحصول علي عوائد متزايدة عن استثمارهم في العيش. في حين زعم بعض الفلاسفة أنهم كانوا يمارسون شكلاً من الاستشارة الفلسفية في عام 1967 انعقد الاتفاق علي أن الميلاد الرسمي للممارسة الفلسفية هو عام 1981 عندما افتتح الفيلسوف الألماني جيرد أكنباك أول مركز استشارة فلسفية وبدأت الاستشارة الفلسفية كحركة". [1]

المبحث الأول

"مصادر الاستشارة الفلسفية عند أوغسطين"

هناك الكثير من المصادر الفكرية التي تأثر بها أوغسطين والتي أفادته في بناء فكره حول الاستشارة الفلسفية وساهمت بشكل كبير في بناء أفكاره ومنها ما يلي:

العنصر الأول (مرحلة الخوف والقلق عند أوغسطين):

تأثر أوغسطين بالكتاب المقدس والذي يحتوي بدوره علي دراسة الفلسفة، وبهذا نشأ حبه الكبير للفلسفة وكان متحمسا أشد الحماس لبلوغ الحقيقة اليقينية، فقد تناول الكتاب المقدس وهو في التاسعة من عمره ولم يجد فيه مبتغاه" [2] ويعد شيشرون[*] من أهم مصادر أوغسطين الفلسفية؛ حيث قرأ محاورة شيشرون الشهيرة" هورتنسيوس" التي يدافع فيها عن الفلسفة ويمتدحها باعتبارها النشاط العقلي الوحيد القادر علي إرشاد الإنسان للسعادة الحقة المتمثلة في اللذة العقلية لا في اللذة المادية" [3] ولكن قراءته لهذا الكتاب لم يشبع جوعه؛ فأنصرف إلي المانوية[*] لأنه رأي أن هذا الدين يتحدث عن الحقيقة ويجعل الغاية من

---

[1] نفس المرجع، ص 36.

[2] جونو ويجوان: تاريخ الفلسفة والعلم في أوربا الوسيطة، ترجمة علي زيعور وعلي مقلد، بيروت، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، 1993، ص 277.

[*] شيشرون: كاتب وخطيب وفيلسوف لاتيني ولد في 106 اشتهر باسم شيشرون كان سليل اسرة مثقفة وميسورة كان أبوه فارسا رومانيا ومحبا للآداب، وقد وقف عنايته كلها علي تربية ولديه، من أهم مؤلفاته مقالة العزاء، الجمهورية، والتواريخ، القوانين وغيرها. أنظر جورج طرابيش: معجم الفلاسفة، (مادة: شيشرون)، بيروت، دار الطليعة، ط3، 2006، ص ص 409: 412.

[3] زينب محمود الخضيري: لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين، القاهرة، دار قباء للطباعه والنشر والتوزيع، 1998 ص 14.

[*] المانوية هي مذهب زعيمها ماني في بابل في القرن الثالث الميلادي وهو مذهب يقوم علي مبدأ الثنائية الخير والشر، وأنهما لا يصدران عن مصدر واحد فالخير ويمثل له في الديانة المانوية بالنور ومنشؤه الله. أما الشر فيرجع إلي إبليس أنظر

William. L. Resse: Dictionary of philosophy and Reliogion Eastern and Western Thought, (material: Manichaeism), New Jersery press Sussex, Harvester, Humanities press 1980, p.457.

الوجود اكتشاف الحقيقة واستهواه المانويين فمال إلي خزعبلاتهم وجلس علي موائدهم، وتناول من زادهم، فلم يجد لديهم ريا لعطشه، وراحة لنفسه القلقة المضطربة مع أنه رضي لمدة وجيزة بتعاليمهم عن أصل الكون، ونهاية المخلوقات ووجود الخير والشر" [1].

عندما أنهى أوغسطين دروسه عاد إلي مسقط رأسه واستقبلته أمه بخوف وحذر، وكان لأمه تأثيرا كبيرا في حياته؛ لأنها كانت قديسة مسيحية تتمني أن يعتنق ابنها الدين المسيحي وبينما كان هو منصرفا إلي المتع والملذات التي كانت تشجع عليها المانوية بعكس المسيحية المتقشفة الزاهدة،" وكانت أمه تقدمه إلي مذبح الرب، علي أمل أن تراه بين ساعة وساعة وقبل أن تغادر هذه الحياة مسيحيا مؤمنا يفتح قلبه وعقله علي نور الإنجيل وخلاصه" [2].

العنصر الثاني (مرحلة الشك عند أوغسطين):

كان أوغسطين تواقا إلي معرفة الحقيقة والطريق الموصل للحياة السعيدة، ولم يجد في التوراة والإنجيل والقول بالإله الواحد بغيته؛ بل أعجب بالمانوية القائلة بمبدأي الخير والشر، وظل علي هذا الحال أيام وشهور غارقاً في ضلالته ولكن أمه لم تيأس ظلت تصلي وتدعي له لأن ثقتها بالله أقوي،"[3] " و تزعزعت ثقته بالمانوية وتركها"[4] لما وجد فيها من تعارض بين ما تعلمه في الرياضيات والهندسة وعلم الفلك من حقائق عقلية دقيقة مسندة إلي البرهان الواضح الملزم، وبما امتلأت به المانوية من خرافات التنجيم والانتقاد بأن الأفلاك والكواكب لها تأثير في حياة الإنسان" [5]

ودفعه هذا التردد بين المذاهب إلي اعتناق مذهب الشك الذي كان يقول به رجال الأكاديمية الجديدة بعد أن أُعجب بحججهم المختلفة ضد المعرفة العقلية الوثنية، وسافر إلي قرطاجة ودرس الخطابة وأقبل عليه الطلاب من كل مكان، وأخذ يلقنهم ويعلمهم واكتسب

---

(1) اوغسطين: الإعترافات، نقلها إلي العربية الخوري يوحنا الحلو، بيروت، دار المشرق، ط4، 991، ص2.

(2) نفس المصدر، ص 2.

(3) نفس المصدر، ص 2.

(4)Augestine: Answer to Faustus, Manichean,trans by Teska, Roland, Vol 20 press U.S.A, 2007,P56

(5) عبد الرحمن بدوي: فلسفة العصور الوسطي، بيروت – لبنان، دار القلم، ط3، 1979، ص 17.

ثقة تلاميذه وتقديرهم له وشجعوه علي السفر إلي روما للتدريس، وسافر إلي روما، ولكنه لم يلبث بها طويلا بل ذهب إلي ميلانو يعلم الخطابة عام 384"[1] وتأثر بجو الكنيسة هناك؛ حيث ترك مذهب الشكاك والاعتقاد بأن هناك طريق آخر للوصول إلي اليقين والطمأنينة والسعادة غير طريق العقل الذي أبطله الشكاك وهو طريق العاطفة والإرادة والوجدان الذي يصل إلي الحقائق بالإلهام والإشراق الذي قال به أفلوطين وتلاميذه أتباع المدرسة الأفلاطونية الجديدة؛ حيث درسها وأعجب بها حيث كانت الطريق الذي وصل به إلي اعتناق المسيحية" [2]

العنصر الثالث (مرحلة الاطمئنان عند أوغسطين):

سافر أوغسطين مع بعض أصدقائه؛ وذلك بهدف النظر في أمر أنفسهم في عزلة وهدوء وقضوا بضعة أشهر يفكرون ويتباحثون، استأنف مطالعته للكتاب المقدس؛ فوجد فيه هذه المرة ما لم يجده في المرة الأولى وما لم يجده عند الأفلاطونيين وجد المسيح المخلص والنعمة الإلهية التي تعنينا علي فعل الخير والتغلب علي الشر، ووفد عليهم مع أهوائه وإذا بصوت يغني في الجزيرة ويكرر القول:" خذ وأقرأ" فبدا له أمرا إلهيا صدر إليه ذات يوم زائر كريم حدثهم عن حياة الرهبان في مصر وغيرها [3].

وخرج إلي الحديقة وهو في صراع عنيف فتناول رسائل القديس بولس، وكانت علي مقربة منه وفتحها وقرأ، فإذا الأهواء تسكن، وإذا قلبه يفيض نورا واطمئنانا، وذهب إلي القديس امبرواز[*] وقبل منه المعمودية وهو في سن الثالثة والثلاثين، ولكن موت أمه أعاده إلي ايطاليا وأثناء إقامته في روما ساند البابا سبريسيوس في صراعه ضد المانويين وكتب رسالتين ضدهم، وانقطع للدرس والرهبنة إلي أن رسم قسيسا ثم اسقفاً فسحر المصلين ببلاغة مواعظه وتقواه وطغت شخصيته الجديدة كرجل دين علي شخصيته الأصلية كفيلسوف أصيل.

---

[1] أوغسطين: المصدر السابق، ص 3.

[2] عبد الرحمن بدوي: المرجع السابق، ص 19.

[3] David Seeley: Deconstructing the New Teatament,Brill,pressU.S.A,,1994,P12.

[*] امبرواز هو اسقف ميلانو ولد بين 333–340 في تريفن، نشأ في أسرة نصرانية شديدة الورع ولم يقبل المعمودية إلا عام 374 عندما اختاره الميلانيون، وكانوا منقسمين بين حزب وثني وحزب نصراني. أنظر جورج طرابيشي: المرجع السابق، (مادة: امبرواز)، ص 93.

ارتبطت الاستشارة الفلسفية عند أوغسطين بمجموعة من المحاورات الفلسفية المشهورة التي كتبها أوغسطين ويطلق عليها كاسيكياكوم وهي أربع محاورات؛ ردا علي الفلاسفة الأكاديميين، وفي الحياة السعيدة، وفي النظام، ومناجاة النفس، وكلها حصيلة مناقشاته مع مجموعة من تلاميذه، وفيها حث تلاميذه علي ترك الاهتمام بالشعر وصرف العناية للميتافيزيقا ويمكن تسمية هذه المرحلة بمرحلة دراسة الحكمة" [1].

ترك لنا مجموعة من الكتب والرسائل أيضا، التي تعد ثمرة لثقافته المسيحية واليونانية والتي كان لها أهمية في الاستشارة الفلسفية ومن أهم هذه المؤلفات:

***الرد علي المانويين:** وكان من أثر ذلك كتاب أخلاق الكنيسة الكاثوليكية وأخلاق المانويين وكذلك كتاب في سفر التكوين ردا على المانويين وحول الحرية المطلقة.

***محاورة المعلم:** هي من مجموعة المحاورات الفلسفية التي كتبها أوغسطين في أول عهده بالتفكير الفلسفي سنة 389، بعد أن قبل طقس العماد أخيرا علي يد إمبرواز في ميلانو سنة 387 ونزح إلي مسقط رأسه في أفريقيا عاكفاً علي نفسه، ومؤسسا بذلك أول دير أفريقي...يقوم البناء الداخلي للمحاورة علي حدس فلسفي"[2].

***الاعترافات:** ويعد وصفا شيقا لصراعه مع الخطيئة، وقد ظلت حادثة وقعت له في حداثته راسخة في ذهنه طول حياته؛ علي الرغم من تفاهتها فقد سرق ذات مرة شجرة كمثري من حديقة أحد الجيران؛ وذلك بدافع السلب المتعمد وعما انشغاله المرضي بالخطيئة علي تضخيم هذا الخطأ إلي حد أنه لم يستطيع أبدا أن يغفره لنفسه. ويبدو أن العبث بأشجار الفاكهة هو في كل العصور عملية لا تخلو من مخاطر" [3]

* له كتب عقائدية أخرى وأشهرها الثالوث – العقيدة المسيحية – مراسلات مع القديس جيروم، وفي عظمة النفس وحرية الاختيار وفيه تطرق إلي مسألة الشر وبعد

---

[1] زينب محمود الخضيري: المرجع السابق، ص 16.

[2] حسن حنفي: نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط أوغسطين – أنسلم – توما الأكويني، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1978، ص 12:11.

[3] برتراند راسل: حكمة الغرب، ج1، ترجمة فؤاد زكريا، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1978، ص 199.

أن أقام فترة في قرطاجة عاد إلي طاجستا، وهناك باع القليل مما كان يملكه ووزع ثمنه علي الفقراء." [1]

ويتضح من هذه المصادر أنها تمثل حياة جديدة في فكر أوغسطين وأساس الممارسة الفلسفية وعلاقاتها بالحياة ورؤيته الجديدة للعالم والمجتمع الذي يعيش فيه.

المبحث الثاني

" تطبيقات الاستشارة الفلسفية عند أوغسطين"

أما العنصر الأول فعنوانه" الاستشارة الفلسفية والبحث عن الحقيقة"

ولقد طبق أوغسطين الاستشارة الفلسفية في العديد من جوانب فلسفته ومنها ما يلي:

طبق أوغسطين الفلسفة في الحياة بعد ما كانت حكرا علي القساوسة من جانب وعلماء النفس من جانب آخر؛ حيث تعلق بحب الاطلاع علي كتب شيشرون" إذ أيقظ فيه حب الحكمة وضرورة البحث عن الحقيقة حتي يبلغ السعادة التي هي مبتغى الحياة الإنسانية فأدرك أن الفلسفة هي طريق في ذلك، ورأى أن هناك شرطان لتحقيقهما هما: الأول أن يكون ثابتا مستقلا عن تقلب المصادفة، و الثاني أن يكون الموضوع كاملا لا مزيد عليه إذ أننا نرضي تمام الرضا إلا بالخير الأعظم ولا يتوفر هذان الشرطان في غير الله" [2] " ونخطئ خطأ ح إذا اعتقدنا أن في مقدرونا تقويم فلسفة أوغسطين تقويما علميا بمعزل عن تفكيره اللاهوتي ذلك أن تفكيره ما يفتأ منصب علي ما هو عيني إذ هو دائما تعبير عن تجربته الخاصة، وقد كانت هذه التجربة تخوله إلي المسيحية في نظره هي الفلسفة الحقة"[3]

والفلسفة بدورها ليس لديها القوة أن تحول النفس من المعرفة إلي العمل الفاضل، مثل عمل الخير والعدل والفلسفة بدون الدين المسيحي قاصرة، وأن الدين المسيحي هو دين

---

[1] علي زيعور: أوغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطية، بيروت – لبنان، دار أقرأ، ط1، 1983، ص 110.

[2] يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012، ص 29.

[3] فؤاد كامل: الموسوعه الفلسفية المختصرة، (مادة: أوغسطين)، ترجمة ومراجعة زكي نجيب محمود، بيروت، دار القلم، د.ت، ص 88.

الحكمة والعدل، ويقدم لنا حياة سعيدة في ظل وجود الإيمان بالله من أجل السعادة والحكمة والعيش من خلال ما تقدمه لنا الأسرار المقدسة وجب علينا الإيمان والعمل بها،" وليس للإيمان عاطفة غامضة؛ ولكنه قبول عقلي لحقائق لم تكن مدركة في ذاتها مثل الحقائق العلمية فتكون مؤيدة بشهادة الرسل والشهداء والمعجزات ولا ينفر الإيمان من نقد العقل ما دام لا يوجد إلا في العقل، وللعقل مهمة قبل الإيمان هي المعرفة اليقينية؛ لأن البحث عن اليقين واجب عن البحث عن المعجزات والوحي، وبذلك العقل سابق الإيمان بحيث نقول تعقل كي تؤمن" [1].

مهمة العقل بعد الإيمان هي فهم العقائد الدينية وهنا الإيمان سابق علي التعقل معين عليه؛ فإنه يطهر القلب ويجعل العقل أقدر علي البحث وأسرع قبولا للحق، ويؤيد العقل الحقائق الدينية فيثبت وجود الله وصفاته، ووجود النفس وروحانيتها وخلودها، وهذا ما نادي به قبلا للإيمانِ بحيث نقول" آمنِ كي تعقل". وأن الإيمان يجب أن يتجه نحو التعقل فلا يكون إيمانا ساذجا بل إيمانا عقليا؛ وذلك لأن الإيمان في درجة أقل من درجة التعقل ولابد للإنسان من أن يرتفع من الإيمان الساذج إلي مرتبة التعقل بحيث نقول آمن من أجل أن تتعقل"[2].

وهنا يتضح أن الخطوة الأولي نحو الكمال عند أوغسطين هي تصديق كلمات الكتاب المقدس والخطوة الثانية هي أن ندرك أن الكلمات هي علامات ظاهرية لواقع داخلي عقلاني وتحثنا علي التوجه والقيام باستشارة الحقيقة الداخلية من أجل الوصول إلي فهم حقيقي؛ وبالتالي حياة طيبة. وهو أيضا سبيل السعادة والنجاة، وأن الفلسفة لا تتعدى سوي مرحلة نظرية في محاولة التوصل إلي الله وبلوغ السعادة، ويمكن للمؤمن أن يتوصل إلي الله بالتجربة الوجدانية.

ونلاحظ أيضا تخلي أوغسطين عن الأمل وأكد علي أنه خلال هذه الحياة التي تتميز حتما بالخطيئة والضعف يظل كل إنسان في حاجة إلي إرشاد سلطة المسيح المعلنة فالإيمان ليس مجرد أمر معرفي بل هو أخلاقي من أجل التطهر الأخلاقي.

---

[1] يوسف كرم: المرجع السابق، ص 30.

[2] نفس المرجع، ص 31.

العنصر الثاني (أثر الحوار في الاستشارة الفلسفية عند أوغسطين):

يعد الحوار من أهم تطبيقات الاستشارة الفلسفية عند أوغسطين وأكثرها شيوعا؛ حيث عرضه أوغسطين من خلال تجربته الحوارية مع الله، وهو حوار المخلوق مع الخالق، وعلي الرغم من كونه حوار من طرف واحد إلا أنه مع ذلك حوار ؛ لأن كلمة الله في اعتقاده هي ما يخول للمخلوق مخاطبة الله فالحوار يتقدم هنا في شكل صلاة.

وهذا الحوار هو فهم لعلاقة الإنسان بربه و تجربة شخصية يعيشها الإنسان ويكتشف فيها وجوده نحو الأصوب ويتخلى عن الماضي والخوف من الأنا القديمة والتشاؤم والمخاوف في سبيل بناء شخصية جديدة، ولا يفقد الثقة في الأمل والرجاء؛ لأنهما موجودان والإنسان عنده هو صورة الله علي الأرض وعلي مثاله. وهنا يلاحظ أن الحوار الفلسفي لا يستلزم أن يكون فيه المتحاورون علي تكافؤ فكري؛ وذلك لأن ليس هناك تكافؤ بين الخالق والمخلوق. ويعد أيضا منهج ملائم للاستشارة الفلسفية؛ لأنه يساعد علي خلق مداولة تأملية وكاشفة كما في حواره مع الخالق.

طبق أوغسطين الاستشارة الفلسفية في الواقع العملي والحياة المعيشة من خلال الحب حيث ربط أوغسطين الحوار بالحب وجعله أساس الحوار، ويجب علي الإنسان أن يحيا حياة خيرة في محبة الله بكل قلبه وروحه وعقله، وأن هذه المحبة ليست شعار ولا ملكية عند أوغسطين ولكنها ماهية الله نفسه. ويري أوغسطين أن الله محبة وروح أيضا، وقد أعطى روح القدس هذه المحبة وبثها في القلوب وهي نعمة النعم وأساس كل الفضائل، وتعتبر المحبة هي أساس الفكر الأخلاقي عند أوغسطين؛ لأنها محبة الخير الأعظم ويقصد به الله كما أنها تخلصنا من المخاوف. ويدل علي ذلك ما جاء في الكتاب المقدس" عليك أن تحب الرب إلهك بكل قلبك وبكل روحك وبكل عقلك وأن تحب جارك مثلما تحب نفسك" ونجد أن الفلسفة الطبيعية توجد في هذه العبارة لأن أصول الأشياء ودوافعها عند الله الخالق والأخلاق تكمن في الحياة الطيبة ولا تأتي عن طريق آخر سوى المحبة وحب الأشياء الجديرة بالحب حب الله ثم حب الجار لجاره.

وحب الله هو الحب اللانهائي للبشر الذي أظهره بتضحيته للابن وبعطائه لهم الروح القدس وعلينا أن نحب الله بقلوبنا وبعقولنا وهذا الحب يسمو بالنفس، وينيرها ويكشف

لها الحقيقة الأبدية. ويرتبط حب الجار لجاره بحب الله لأن الإنسان لا يستطيع أن يحب الجار أو قريبه إلا إذا أحب الله أولا. وجعل أوغسطين الحب أساس الخروج من ظلمة الخطيئة الأصلية التي ارتكبها آدم وزوجته. وعرفها العالم بأنها خطيئة الكبرياء والغرور، والتي سقط بها إبليس حينما قال" أصعد إلي السموات أرفع كرسي فوق كواكب الله وجلس علي جبل الاجتماع في أقاصي الشمال أصعد فوق مرتفعات السحاب أصير مثل العلي "[1] وهي أيضا عبارة عن تجربةٍ داخلية يستطيع الإنسان أن يرتفع فوق الذنب وينفك من عقاله وينطلق متحررا وبادئا حياة أخرى أرفع تتجلي فيه الكرامة الشخصية" [2]

تشكل الخطيئة فكرة جوهرية في الاستشارة الفلسفية عند أوغسطين وهي عبارة عن حوار بين "آدم وحواء والشيطان" وهي ذات مصدر يتجاوز الإنسان؛ لأن مصدرها الأول الشيطان الذي اقترف المعصية في الأكل من الشجرة المحرمة، مما يجعل من الأخلاق بالنسبة للإنسان أنها تتمثل في محاربة الشيطان في النفس البشرية من خلال التمسك بالتعاليم المسيحية. اعتمد أوغسطين في تفسيره لمفهوم الخطيئة الأصلية علي الكتاب المقدس في سفر التكوين الذي يبتدئ تفكيره من نظرته إلي الموت باعتباره عقابا علي الخطيئة؛ وبما أن الموت هو عاقبة كل البشر وهو العدو الأول فإن ذلك يتسع بالضرورة أننا جميعا خاطئون وقد ورثنا هذه الخطيئة من آدم" [3] ولقد أسفر

---

[1] الكتاب المقدس: سفر أشعياء، (14:13).

[2] علي زيعور: المرجع السابق، ص 267.

[3] فراس سواح: ألغاز الإنجيل، دمشق – سوريا، دار التكوين للتأليف والنشر، ط2، 2012، ص 357.

[*] بيلاجيوس: هو راهب وكاتب لاتيني ولد في بريطانيا بين 350–354، ومات في فلسطين أو مصر بين 423 و429 ومن المحتمل أن يكون درس اللاهوت في الشرق، وأخذ في وقت مبكر بمذهب حرية الإختيار كما حدده أوريجانس وعارض مذهب كلية قدرة النعمة الذي كان يذيعه أوغسطين، وضعه أوغسطين في قفص الإتهام أمام مجمع أساقفة القدس=عام 415. أصدر مجمع قرطاجه إدانه رسمية للمذهب البيلاجي، وطرد ثمانية عشر منهم وبدأ يضيع أثر البيلاجيين من عام 418. أنظر جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، (مادة: بيلاجيوس) ص 228.

صراع أوغسطين مع أنصار بيلاج(*) عن تطوير أدخله هو علي مفهوم الخطيئة الأولي، فبينما كان آباء الكنيسة السابقون عليه وخاصة اليونان يركزون علي مسألتي القصاص والتأديب اللتين من شأنهما إبراز مسئولية آدم الشخصية عن خطيئته أبرز هو متأثرا في هذا بالقديس امبرواز الجانب المقابل أي المسئولية المعنوية لكل الجنس البشري عن خطيئة ادم" [1].

رأي أوغسطين أن هذه الخطيئة تختلف عن باقي أخطاء الجنس البشري لأنها عبارة عن عصيان لإرادة الله و التحقت بكل ذرية آدم وارتبطت الخطيئة بالوحدة الإنسانية عند أوغسطين حيث أعتبر أوغسطين الإنسانية كلها مخطئة؛ وبالتالي هي كتلة ملعونة. وبسبب الخطيئة أصبح الجنس البشري يعاني في هذه الحياة الدنيا من الجهل والعبودية للشهوة وضعف الإرادة وضرورة المعاناة في الحياة.

لعب التشاؤم دورا كبيرا في حياة أوغسطين حيث ذهب إلي أن المسيح لا يخلص إلا من اختاره الله أي اشتمله بلطفه يقول" كل إنسان ينحدر علي حدة من نفس الكتلة الملعونة منذ البداية؛ ولكن الله مثله مثل صانع الأواني الخزفية استخرج من نفس الكتلة كلا من أبناء المجد وأبناء العار" [2] ومن هنا نجد أن اوغسطين فسر الخطيئة ببراعة وربطها بالاستشارة الفلسفية وجعلها بمثابة المستشار الفلسفي.

العنصر الثالث (الحوار و علاقته بالحرية الإنسانية):

إن الحوار" هو ما يميز الإنسان عن بقية الكائنات الحية وهو الوسيلة الأساسية للارتقاء بالفكر الإنساني وهو أيضا الكاشف عن مدي تمتع الإنسان في أي مجتمع من المجتمعات بالحرية بكافة صورها فالإنسان الحر هو فقط الإنسان القادر علي الحوار مع الأخر" [3]

---

[1] زينب محمود الخضيري: لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين، ص 83.

[2] نفس المرجع، ص 84.

[3] مصطفي النشار: العلاج بالفلسفة، القاهرة، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر، ط1، 2010، ص 65.

ذهب أوغسطين إلي أن الكتاب المقدس يؤكد علي الإرادة الحرة علي أنها لا تترك مجالا لعون الله ونعمته في الحياة الصالحة والسلوك الحسن، اللذين بهما تنال الحياة الأبدية، ويتأثر بقول آرميا" ملعون الرجل الذي يتكل علي الإنسان ويجعل البشر (الجسد) ذراعه وعن الرب يحيد قلبه" [1]، ويقصد هنا أن هذه المشورة تكون موجهة بقصد عدم اتكال الإنسان علي ذاته ويكمل ويجعل الجسد ذراعه؛ لأن الذراع هنا يسير إلي قوة العمل ويقصد بالجسد الضعف البشري"[2]

نجد أن أوغسطين أكد علي حرية الإرادة الإنسانية، والإرادة عنده ليست القدرة علي اختيار الخير والشر معا. فهذا تعريف غير صحيح عنده؛ لأن هذا التعريف يجعل الله غير حر لأن الله ليس له القدرة علي اختيار الشر؛ لأن اختيار الشر نقص بينما الله كامل، ولذا يري أوغسطين أن الحرية هي القدرة علي قول لا لذلك فإن الحرية شيء مطلق من جهة أنها تتيح للإنسان أن يرفض أي شيء وكل شيء" [3] يقول أوغسطين:" بأن حرية الاختيار تعلق لنا من خلال الكتب المقدسة لا بلغة بشرية؛ بل إلهية وإننا نبدأ بهذه الحقيقة وهي أنه لو لم توجد حرية اختيار ما كان الإنسان يستخدم وصايا الله وبالتالي ينال الجزاءات الموعود بها" وأن هناك وصايا كثيرة تدل علي حرية الإرادة البشرية مثل" لا يغلبنك الشر" و" لا ترفض شريعة أمك" و" لا تكن حكيما في عين نفسك" [4]

أوضح أوغسطين أدلة تدل علي الحرية ومن أهمها شهادة الوجدان" إذا لم تكن الإرادة التي بها أريد ولا أريد ملكا لي فلست أدري ما الذي أستطيع أن أقول عنه إنه ملك لي" وأن الناس مجمعون علي المدح والذم و الإثابة والمعاقبة بناء علي ما

---

[1] الكتاب المقدس: سفر أرميا (17: 5)

[2] أوغسطينوس: النعمة والإرادة الحرة، القاهرة، مكتبة الكتب المسيحية، 1969، ص 20.

[3] كامل محمد محمد عويضة: الفلسفة المسيحية في العصور الوسطي، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1993، ص 60.

[4] أوغسطينوس: المصدر السابق، ص ص 15:13.

يشعرون في أنفسهم من حرية" [1] وتؤكد الاستشارة الفلسفية عند أوغسطين علي حرية الإرادة؛ لأن اختلاف الأفعال الصادرة عن الإنسان في ظروف متشابهة فقد يكون الموقف واحد، ولكن الأفراد يختلفون في سلوكهم تجاهه، وأيضا التكاليف الدينية المتمثلة في أوامر الله ونواهيه تؤكد حرية الإرادة، ولولا وجود الحرية لما كنا مسئولين عما نفعل وما نترك ولكانت هذه التكاليف عبثا ولغوا. ولابد للإرادة وأن تخضع للالتزام الأخلاقي والقوانين الأخلاقية، ومنها القانون الطبيعي الذي لابد من طاعته؛ لأن طاعته فضيلة وتستحق الثواب ومخالفته رذيلة تستحق العقاب.

وهنا لابد للأخلاق من قانون أخلاقي يعمل علي إخضاع الحواس للعقل وإخضاع العقل لله بحيث تتجه كلها للحصول علي الله" والقانون الخلقي هو قانون خير في ذاته ويدفعنا إلي طلبه لذاته لا لمجرد كونه واجبا فتتلاقي إرادتنا وإرادة الله؛ بل إذا نظرنا إليه من حيث هو واجب قلنا أنه يقتصر علي الوصايا التي تحصر نشاطنا في دائرة النظام العام"[2].

يعد المبدأ الأخلاقي القائم علي ثنائية النفس والجسد هو المقوم الأساسي في تصورات أوغسطين للاستشارة الفلسفية؛ حيث ظهر ذلك من خلال معالجته للنفس والجسد وما أصابهم من آلام؛ حيث أشار أوغسطين إلي أن النفس هي الجوهر الحقيقي للإنسان، وأنها تتحكم في الجسد وتقوده إلي السلوك الصحيح، وربط بين النفس والإرادة الحرة؛ حيث إن الإنسان يستخدم إرادته الحرة للسيطرة علي الجسد والسلوك الصحيح، ومن هذه الرؤية فإن أوغسطين يري أن الإنسان يعيش في صراع بين الجسد والنفس؛ حيث يجب علي الإنسان التغلب علي شهوات الجسد والتحكم فيها باستخدام النفس والإرادة الحرة وفي حالة فشل الإنسان فإنه يصاب بالذنوب والخطايا. وأن النفس والجسد هما جزء من الإنسان ككل ولا يمكن فصلهما عن بعضهما البعض وهناك تأثير متبادل بينهما، فعلي سبيل المثال يمكن أن يؤثر الجسد علي النفس عن طريق الشعور بالألم

---

[1] يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، ص 40.

[2] نفس المرجع، ص 40.

أو الإرهاق وفي المقابل يمكن أن يؤثر النفس علي الجسد عن طريق الشعور بالحرارة أو الألم. ومن هنا يجب علي الإنسان أن يحافظ عليهما بطريقة متوازنة ولا يجب التفريط في أحدهما علي حساب الآخر، ويعتقد أوغسطين أن الحفاظ علي الصحة النفسية يتطلب العناية بالجسد والحفاظ عليه والعكس صحيح.

ومن هنا يلاحظ أن الحوار يشكل جانبا مهما من جوانب الاستشارة الفلسفية عند أوغسطين حيث بدأ ب الله وانتهي بالحوار والمشاركة مع الإنسان.

العنصر الرابع (رؤية أوغسطين للعالم المعيش):

تتضح الاستشارة الفلسفية عند أوغسطين من خلال رؤيته للعالم؛ حيث نظر إلي العالم علي أنه ليس شر ويتساءل من أين يأتي الشر إلي العالم؟ شغلت هذه المشكلة تفكير أوغسطين منذ انضمامه للمانوية وأعانه علي حلها أفلوطين، وأعطاه فكره طبقها تطبيقاً جديداً وهي" أن كل موجود فهو خير بما هو موجود، وأن الشر وهو عدم الخير هو من ثمة لا وجود، فيذهب أفلوطين إلي أن الموجودات في صدورها عن الموجود الأول تتضاءل بالتدرج حتي تبلغ إلي المرتبة الأخيرة التي هي المادة، فالمادة لا وجود لها ومن ثمة لا خير في الشر بالذات وهي أصل الشر في الموجودات المركبة منها أو المتصلة بها، وهي أصل الجهل والرذائل والأمراض، وهنا يذهب أوغسطين إلي أن أفلوطين يبالغ في ضآلة المادة وهو مضطر إلي اعتبارها وجودا ما وإلا لما دخلت في تركيب الأشياء ومهما تكن لا معنية علي الأقل موضوع للصورة والتعين"[1]

والشر نوعان عند أوغسطين: أحدهما خلقي والآخر طبيعي، ولا ينسبان إلي الله، ولكن الله يسمح به ثم يستخرج منه الخير. مادام الشر عدما، وليس البحث عن علته بحثا عن مصدر وجوده؛ عن مبدأ نقص وليس مبدأ النقص إلا في المخلوق، فالشر الخلقي أو الخطيئة سواء في استعمال الحرية ينبذ الخير الدائم والإقبال علي خير زائل وهو عدم نظام في الإرادة والإرادة علة الخطيئة. والخطيئة هي عدم محبة الله في إرادتنا

---

[1] نفس المرجع، ص 44.

بعكس الخير فإنه يتطلب وجود علة ثبوتية، والدليل علي ذلك خطيئة آدم وحواء؛ عندما أكلا من الشجرة التي نهاهم الله عنها.

أما الشر الطبيعي فهو في الماديات فساد كيانها أو زواله وهو ليس شرا بمعني الكلمة؛ لأن فساد البعض كون البعض، وفي فساد العناصر كون المركبات منها وفي فساد مركب كون العناصر المؤلف منها أو كون مركب آخر. فالفساد هنا داخل في النظام العام الناتج من تنوع الكائنات وترتيبها بعضها بالإضافة إلي بعض وهو شر يحسه الإنسان في ذاته أثر الخطيئة وعقاب عليها؛ لأن الخطيئة تمرد علي النظام وأثرها اضطراب في كيان الإنسان. [1]

فالعالم عبارة عن مسرح للفساد والخلل بالإضافة إلي الأحزان والآلام عند الإنسان؛ فالشر عبارة عن فساد وزوال لكن هذا الفساد لبعض الأشياء هو وجود لغيرها.

وهناك سؤال يطرح نفسه وهو هل الاستشارة الفلسفية تعد علاجا عند أوغسطين؟

يمكن وصف المستشار الفلسفي عند أوغسطين بأنه شريك في حوار من خلال رؤيته الفردية للعالم؛ حيث إنه لابد له من فحص ذاته من خلال رؤيته للعالم؛ لأن كل منا يفسر وجوده في العالم لا من خلال الأفكار؛ بل من خلال رؤيته للعالم ومن خلال تعبيره عن فهم معين عن ما هو أخلاقي وما هو غير أخلاقي وعما يكونه الحب في المجتمع. وهذا المجتمع مكون من عنصرين هما الجسد والروح، وهذه الطبيعة المزدوجة تجعل أمور الإنسان مقسمة إلي قسمين دينية مصدرها الجانب الروحي ودنيوية مصدرها الجانب الجسدي.

أشار أوغسطين للاستشارة الفلسفية في كتابه مدينة الله عندما رأي أن ما أصاب روما من نهب وتعذيب وأسر ليس غريبا علي التاريخ البشري كله، ولكنه ابتلاء ابتليت به كسائر الشعوب وأن مصير الإنسان ليس مقرر علي هذه الأرض وأن المصائب للمسيحي ما هي إلا امتحان وتأديب وتربية إلهية. وأن كل ألم جماعي أو فردي يجب أن ينظر إليه كعقاب صريح علي أخطاء جسيمة، وأن الألم الذي ينجم عن الحدث

---

[1] نفس المرجع، ص 44.

يجب أن يكون لكل فرد مناسبته للتوبة وللتقشف وهذا لا يمكن أن يقود المسيحي إلي محاسبة صادقة للذات، وعلي الإنسان أن يختار الوجهة الصحيحة لوجوده سواء كان ذلك في المدينة الأرضية أو المدينة السماوية.

ويرتبط العلاج بالفلسفة عند أوغسطين بالنظام الاجتماعي والسياسي ويعالج أمراض اجتماعية وسياسية كانت في المجتمع الذي عاش فيه أوغسطين ومن هذه الأمراض الخوف من الخطيئة، وهذه الخطيئة جعلت الإنسان يميل ويتجه نحو الشر والفساد،.ومن هنا لابد من وجود الدولة لمقاومة هذا الشر وأن تقوم علي الحب وهذه الدولة ليست كياناً في ذاتها وإنما هي تجمع من كائنات بشرية استمدت شخصيتها من شخصية مواطنيها"[1] و يجمعها رابط مشترك هو الحب، وهذا الحب هو" أساس التمييز بين المدينة الأرضية والمدينة السماوية وأساس الخروج من ظلمة الخطيئة" [2]. ويربط هذا المجتمع نوعين من المحبة كما يقول أوغسطين: في كتابه مدينة الله" حبنان بنيا مدينتين، حب الذات حتي احتقار الله بني المدينة الأرضية، وحب الله حتي احتقار الذات بني مدينة الله إحداهما تفاخر بذاتها والثانية تفاخر بالله"[3].

والمدينة السماوية: يطلق عليها مملكة النور" [4]، وتنشأ نتيجة حب الله وهي مدينة مواطنيها يعيشون مع الأخرين؛ ولكن ليس كالآخرين ولديهم قوة مرئية دون مساعدة المدينة الأرضية، و يبذلون كل جهودهم وشقائهم وكفاحهم في سبيل خدمة المدن الأرضية بهدف الراحة والنعيم في المدن السماوية وتضم مدينة الله (مملكة المسيح) كل الذين يربطهم حب الله، كل الذين يعيشون عيشة الإنسان الملتزم بشريعة الله فأبناء مدينة الله أخوة في سلام دائم لا يتحكم فيها حب الإرادة الشخصية والخاصة؛ بل تسوده

---

(1) Norman Hepburn Baynes: The Political Ideas Saint Augustine The Historical Association, London,1963 ,p7.

(2) Eleonore Stump, Norman Kretzmann: The Cambridge Companion to Augestine, Cambrideg University Press, 2001, p235.

(3) أوغسطين: مدينة الله، المجلد الثاني، نقله إلي العربية الخور أسقف يوحنا الحلو، بيروت، دار المشرق، ص 254.

(4) Rebecca West: St Augestine,Edinburgh, Peter Davies limited, 1930 ,p52.

تلك الفضيلة التي تحقق الوحدة الكاملة والطاعة والتقوي" [1]. تمثل هذه المدينة عند **أوغسطين** الكنيسة؛ لأنها خلاص للبشر وتحقيق الحياة السماوية يعتمد علي واقعية الكنيسة بوصفها إتحاد يضم كل المؤمنين وقدرتها أن تلعب دورها في تاريخ البشرية بوحي الله ورعايته.

شدد أوغسطين علي أن علة وجود السلطة السياسية في الدولة هي أن نقيم العدالة؛ لأنه بدون عدالة ما هو الملك غير لص مغطي بالمجد؟ وما هي المملكة غير كهف للصوص.وأن الدولة لا تنشأ من عقد، ولا تنشأ من خطايا الناس، وإنما تنشأ من الغرائز الموجودة في الطبيعة الإنسانية، ولهذا فالدولة ضرورية وليست عرضية، وهذه الدولة التي يتصورها هي التي تستمد سلطتها من الله مباشرة، ومعني ذلك أنها لن تكون دولة علمانية خالصة؛ بل ستكون دينية كذلك، ولا تكون دينية خالصة بل جامعة للطابع العلماني والديني ومهمتها الاتصال بالحياة الدينية؛ أي أنها ستعمل من أجل تحقيق السعادة علي الأرض والسعادة في الأخرة للمواطنين[2]

أما المدينة الأرضية : يضعها أوغسطين في مملكة الظلام" تحت سيادة الشيطان" [3] ويؤكد علي أنها تم خلقها بواسطة حب الذات، الذي يمتد حتي رضا الإله فهو يتكون من هؤلاء الذين يمجدون أنفسهم، ويحبون السيطرة وتكون لها وحدة معينة بين أعضاءها ينظرون إلي المجد في قوة الحكام وإخضاع الأمم لها" [4] وترمز لكل المدن الفاسدة في عصر أوغسطين وهي مدن المآسي والشرور، وغير كاملة،" تساند الظلم وهي في حرب دائم مع المدينة السماوية وبابلية مدينة الأشرار، الحب غير نقي فيها وفي خلاف مع الله، حسودة وتخضع الجار القريب لأغراضها وتجتمع تحت قيادة الملائكة والأشرار وستدوم في النار وهي إرادة الناس الذين لا يعيشون بالإيمان ومدينة الشعوب الكافرة وهي في علاقة عكسية مع المدينة السماوية"[5]

---

(1) George W.Osmun: Augestine The Thinker, Cincinnati, Jennings and Graham, 1906, p179.

(2) عبد الرحمن بدوي: فلسفة العصور الوسطي، ص 38.

(3) Rebecca West: Op.cit, p52.

(4) Christopher Kirwan: Augustine, New York, Routledge, London,1989,pp263: 264

(5) علي زيعور: أوغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطية، ص 226.

ووراء هاتين المدينتين نوعان من المحبة متصارعتان في النفس البشرية، والفرد ينتمي لأي من المدينتين بإرادته وفقًا لطبيعة المحبة المسيطرة عليه والتي تواجه أعماله، أما الكنيسة فإنها المؤسسة التي تأخذ بيد الفرد وتساعده في التوجه إلي الله وتغلبه محبته علي حب الذات والشرور الدنيوية المرتبطة بها[1]، وأن الله عند أوغسطين هو الخير الأعلى، وأن الإنسان يحيا في محبة الله بكل قلبه وروحه وعقله ويدلل علي ذلك بقوله في إنجيل متي" عليك أن تحب الرب إلهك بكل قلبك وبكل روحك وبكل عقلك وأن تحب جارك مثلما تحب نفسك" [2]

وبالرغم من هذا الانقسام بين المدينين فإن أوغسطين دعا إلي الحياة الطيبة عن طريق المحبة وحب الأشياء وحب الله ثم حب الجار ودعا إلي المحبة بين البشر؛ لأنه إذا سادت المحبة بين البشر رأي كل إنسان دوره بإيجابية في هذا العالم وأن الله قد خلق الإنسان لا ليعيش وحيدا؛ وإنما ليعيش في مجتمع تربطه الوحدة الاجتماعية وهذه الوحدة تتمثل في الحب. وقسم المحبة إلي عدة أنواع منها:

محبة الآخر: ذهب أوغسطين إلي أن من قال أنه في النور وهو يبغض أخاه فهو إلي الآن في الظلمة من يحب أخاه يثبت في النور وليس في عثرة، أما من يبغض أخاه فهو في الظلمة وفي الظلمة يسلك ولا يعلم أين يمضي؟ لأن الظلمة أعمت عينه. وهنا شبه أوغسطين حب الآخر بالمكان الذي به نور أما البغض فشبهه بالظلمة والعتمة التي يظل فيها تائه.

محبة القريب: أن الإنسان لا يستطيع أن يحل القريب إذا كان لا يحب الله وبالعكس لذا يجب حب جميع الناس الصديق منهم والعدو" [3]. فحب القريب عند أوغسطين يكون مرتبط بحب الله وأن من يحب قريبه فهو لا يرغب ولا يريد أن يحل الشر علي قريبه ويتمني له الخير ويشاركه فيه.

---

[1] حورية توفيق مجاهد: الفكر السياسي من أفلاطون إلي محمد عبده، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط7، 2019 ص 170، 171.

[2] الكتاب المقدس: انجيل متي، (22 : 37).

[3] علي زيعور: المرجع السابق، ص 158.

وهنا يحثنا أوغسطين علي حب الصديق والعدو لأننا عندما نحب أعدائنا فنثبت لهما صدق محبتنا لله؛ ولكي نشترك في النور يجب أن نأخذ بأيدي المذنبين والعاصين يقول أوغسطين:" إذا أحببت عدوك أقام الله فيك وكملت محبته لك" [1]

أما علاقة الدولة بالكنيسة عند أوغسطين فيري أن الأخيرة تشرف علي الأولي من أجل توجيهها إلي الحياة الأخرة، والدولة تساعد الكنيسة علي تحقيق أغراضها، والنصيب الأكبر للكنيسة وأداة للشفاعة، وهي التي تربط بين العبد وربه من أجل الوصول إلي السعادة الأبدية، فالطبيعة الفاسدة للإنسان تقتضي وجود دولة أرضية قوية للسيطرة علي الشر البشري. ومن هنا لم يفصل بينهما أوغسطين؛ بل جعلهما مرتبطين تمام الارتباط، وهذا الارتباط يقيم السلام في الأرض.

ومما سبق نلاحظ أنه من خلال النظرة التشاؤمية للمدينة الأرضية عند أوغسطين قد أتضحت معالم الاستشارة الفلسفية؛ حيث نظر لمعالم جديدة، ومدينة فاضلة تجعل الخير قيمتها المطلقة وترفض الانصياع لأوامر الإنسان الأرضي.

المبحث الثالث

"أهداف الاستشارة الفلسفية عند أوغسطين"

إن هدف الفلسفة في العصر القديم يمكن وصفها بأنها علاج؛ لأن الفيلسوف في العصر الهلينستي كان طبيب حنون يمكن لفنونه أن تداوي كثيرا من الشقاء البشري، وقد عبر عن ذلك أبيقور بأن من أهم أسباب الشقاء والاضطراب والغفلة البشرية هي الرغبات والمخاوف غير المنتظمة والمفرطة. ومن هنا تعد الفلسفة علاج؛ لأنها تعمل علي تحول عميق في أسلوب الفرد في الرؤية والوجود تحول يزيل الهموم التي قد حالت بينه وبين العيش الحقيقي وهنا يكون للفلسفة نفع عظيم كعلاج تطبيقي.

أما في العصور الوسطي فنجد أن الاستشارة الفلسفية في صورتها العامة عند أوغسطين تستمد من تجربته الحية وواقعه المعاش وهذا راجع إلي طبيعة الفلسفة في العصور الوسطي التي كانت تهتم بالعمل والخلاص؛ لهذا كان الهدف الرئيسي الذي

---

[1] أوغسطين: خواطر فيلسوف في الحياة الروحية، ص 306.

سعي لـه أوغسطين هو البحث عن الفضيلة والسعادة. وقد دعا إلي ضرورة التحلي بالفضيلة وأنه يجب علي الإنسان أن يلتمس الحقيقة لذاتها بل يجعلها وسيلة السعادة؛ لأن السعادة تأتي بعد المعرفة وذلك من خلال التأمل وطهارة القلب وممارسة الفضيلة، وربط هذه الفضائل بالحب وبفهم الذات واستنبطها من خلال تجربته في الحياة، ورأي أنه لو كانت الفضائل فطرية في البشر لما عاش اثنين وثلاثين عاما غارقا في أوحال الرذيلة؛ بل لكان فاضلا منذ ولادته ورأي أن الناس لا يولدون فاضلين؛ وإنما يكتسبون الفضيلة، وهذه الفضيلة هي أساس الحب وأنه لا كمال للفضيلة إلا بمحبة الله السامية؛" لأنه كلما كان اتصاله بالذات الإلهية ومعرفته للحقائق أكبر وكلما زاد اتصاله زادت قدرته العقلية قوة؛ وعليه فالسعادة الكامنة لا تتحقق إلا في الحياة الأخرى ولتحقيق هذه السعادة لابد من ممارسة الفضائل الأرضية لكي يتخلص الإنسان من الشرور والآثام وسجن نفسه التي تتبع الشهوات وأن يتحلى بالفضائل ويتجنب الرذائل.

ويعرف الفضيلة بأنها قول أو فعل ضد القانون الأبدي، والفضيلة هي الاتفاق مع القانون الإلهي[1] وهي التي تؤدي إلي الحياة السعيدة، ويقسم الفضيلة إلي أربعة أنواع يقول أوغسطين:" وتلك الفضائل الأربع التي أرجو الله أن يضع قوتها في عقول الناس كما هي أسماؤها في أفواههم، أتجاسر فأحددها علي الوجه التالي الاعتدال وهو الحب الذي يقدم ذاته لمحبوبه كاملاً، والقوة هي الحب الذي يحتمل كل شيء في سبيل محبوبه، والبر هو الحب الذي لا يخدم سوي محبوبه فيسيطر بصدق، والفطنة هي الحب الذي ليس حبا عاديا؛ بل حب الله، الخير الأسمى والحكمة السامية والسلام" [2] وهذه الفضائل قوامها محبة الله فقصده من الاعتدال أن يكبح الإنسان الميول ليرقي بمحبة الله من كل نقص أو عيب، والقوة أن تحتمل كل شيء في سبيل الله، والبر أن لا تخضع لغير الله، والفطنة هي ملكة العقل وهذا العقل ميز الله به الإنسان كي يميز بين الحقائق التي تبعدك أو تقربك من الله. ومن هنا نلاحظ أن المشورة الفلسفية التي تدعم

---

[1] اتين جلسون: روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ترجمة وتعليق إمام عبد الفتاح إمام، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط3، 1996، ص 375.

[2] أوغسطين: المصدر السابق، ص 366.

الفضائل ما هي إلا صورة من صور الحب ويخص بالذكر حب الله وهذا الحب أساس الفضيلة.

أما الغاية الثانية للاستشارة الفلسفية عند أوغسطين فهي السعادة؛ حيث رأي أن كل إنسان يبحث عن السعادة ولكل إنسان أساليب متنوعه في الحياة والحياة السعيدة هي امتلاك مشترك لكل شيء إنما الاختلاف ينشأ من طرق الحصول عليها يقول أوغسطين:" لقد حفرت الطبيعة في قلب كل إنسان رغبة في تلك الحياة وخوفا من الموت حتي إني سألت إنسانا قائلاً له أتريد أن تكون صحتك جيدة فلا يجيبني كلا، إذ لا أحد يريد أن يكون مريضاً ؟ وجميع الناس متفقون علي أمرين هما الحياة والصحة... وأن من لم يقنع بالصحة التامة والحياة الكاملة جشع ومصاب بانحراف خلقي...ونعتقد أنه لا سعادة في الحياة إن لم تكن أبدية دائمة التجدد فليست حياة سعيدة" [1].

لم يقصد أوغسطين هنا بالسعادة تلك التي توجد في العالم فقط؛ ولكنها أيضا رؤية الله في الحياة الأخرة. أما السعادة المحققة في هذا العالم ليست السعادة القصوى بل هي المتعة المحققة عند الله وهذا الحب كما تقول أستاذتنا الدكتورة / زينب الخضيري (رحمة الله عليها) هو عبارة عن الغبطة، وهو المتعة الوحيدة الحقيقية والغاية التي يسعي إليها المسيحي ويري أن المتعة لا تكون إلا بالله وحده جاعلا كل ما عدا الله وسيلة لتحقيق هذه الغاية وهي السعي إلي الله للاستمتاع بحبه ومحرك الإنسان الوحيد في كل هذا أو دافعه هو الحب، وهذا الحب هو تمهيد للتمتع بالسعادة القصوى في الحياة وهو الله" [2]

وينظر أوغسطين إلي أن الحياة الدنيا هي مجرد اختبار للإنسان، و الحياة الحقيقية تأتي بعد الموت؛ حيث يتم الوصول إلي الله وتحقيق السعادة الحقيقية، ولابد من السعي نحو الرضا والانسجام الداخلي والتوصل إلي الله وتحقيق السعادة في الحياة الأخرة. وأن السعادة لا يمكن أن تتحقق من خلال التمتع بالمتع الدنيوية والمادية وحدها، وأن

---

[1] نفس المصدر، ص 385.

[2] زينب محمود الخضيري: لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين، ص 144.

الإنسان يجب أن يتجاوز ذلك وأن يسعي إلي التحقق من معني وجوده وغايته، وهذا يتحقق بالاعتماد علي الإيمان وتحقيق الانسجام الداخلي والتوصل إلي الله.

هناك من يري أن الاستشارة الفلسفية ليست علاجا مثل بن ميجوسكوفيك؛" لأن المستشار الفلسفي لا يركز علي أي نوع من الأعراض قد تكون لدي العميل بل يتناول رؤية الله والمبادئ والمنظومة الخاصة بالعميل. في حين يري شونج ينج شينج أنه يجب أن ندرك أن مضمون الاستشارة الفلسفية هو الفلسفة أساسا فمهمة المستشار الفلسفي بما هو كذلك ينبغي أن تنصرف إلي التنوير والتربية وليس إلي العلاج والمداواة" [1]، ويري آخرون أنه ليس هناك هدف علاجي للاستشارة الفلسفية؛ لأننا لابد وأن نناقش العميل عما إذا كان يبحث عن العلاج وهذا العلاج لابد وأن يحدث تغييرا مثل الشفاء أو أنه يريد أن يفهم حياته فهما فلسفيا.

الخاتمة:

1-من خلال عرضنا للاستشارة الفلسفية عند أوغسطين نجد أن هناك الكثير من المصادر الفلسفية التي كانت عبارة عن اسهامات مهمة في فكر أوغسطين، وتحول حالته من حالة القلق والاضطراب إلي حالة الاستقرار والهدوء والاطمئنان، وقد وظفها من خلال ممارساته الفلسفية المختلفة في علاقاتها بالحياة وفي رؤيته الجديدة التي قدمها في العديد من مؤلفاته.

2-تمثلت الاستشارة الفلسفية عند أوغسطين من خلال الحوار الذي كان له صلة كبيرة بالحياة في المجتمع عن طريق انقسام المجتمع إلي مدينتين الأرضية والسماوية.

3-إن أهداف الاستشارة الفلسفية عند أوغسطين هو الوصول إلي السعادة الحقيقية وأنها لا تأتي من الأشياء المادية أو النفسية وإنما تأتي من الاتصال بالله والوصول إلي الروحانية، وأن السعادة والفضيلة عند أوغسطين متطابقتان؛ ذلك السعادة لا تتحقق إلا في الحياة الآخرة، أما الفضائل الأرضية فإنها وسيلة لهذه الغاية الأسمى.

4-ومن خلال الاستشارة الفلسفية عند أوغسطين يمكن للإنسان أن يتعرف علي الجوانب الأساسية لها من خلال حوار الإنسان مع الله وكيفية تعامله مع العالم

---

[1] بيتر ب رابه: الاستشارة الفلسفية (النظرية والتطبيق)، ص 72.

وكذلك كيفية الوصول إلي السعادة الحقيقية كما يمكننا الاستفادة من مفاهيم أوغسطين في تطوير الذات وتحقيق السعادة والاستقرار الروحي للإنسان.

5-إن العلاج بالفلسفة عند أوغسطين متكامل لأنه لا يتناقض مع الإيمان بالله من خلال بحثه عن الحقيقة وأن الكتاب المقدس جاء متوافق مع ما توصل إليه الحكماء بالعقل؛ وذلك لأن مصدرهما واحد.

6-ارتبط العلاج بالفلسفة عند أوغسطين بالنظام الاجتماعي والسياسي؛ حيث إنه عالج أمراض اجتماعية عاش فيها أوغسطين، ومن هذه الأمراض الخوف من الموت، والخطيئة، وانقسام المجتمع إلي قسمين المدينة الأرضية والمدينة السماوية.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر (أ) العربية:

1-أوغسطين: النعمة والإرادة الحرة، القاهرة، مكتبة الكتب المسيحية، 1969.

2- _____: الإعترافات، نقلها إلي العربية الخور أسقف يوحنا الحلو، بيروت، دار المشرق، ط4، 1991.

3-_____: خواطر فيلسوف في الحياة الروحية، نقلها إلي العربية الخور أسقف يوحنا الحلو، بيروت، دار المشرق، ط7، 2004.

4-_____: مدينة الله، المجلد الثاني، نقلها إلي العربية الخور أسقف يوحنا الحلو، بيروت، دار المشرق، ط 1، 2002.

(ب) الأجنبية:

4-Augestine: Answer to Faustus ,Manichean,trans by Teska , Roland, Vol 20 press U.S.A,2007,P56

ثانيًا: المراجع العربية والمترجمة (أ) العربية:

5- إتين جلسون: روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ترجمة وتعليق إمام عبد الفتاح إمام، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط3، 1996 .

6- برتراند راسل: حكمة الغرب، ج1، ترجمة فؤاد زكريا، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1978.

7-بيتر ب رابه: الاستشارة الفلسفية النظرية والتطبيق، نقله إلي العربية عادل مصطفي، القاهرة، دار رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2021.

8-جونو ويجوان: تاريخ الفلسفة والعلم في أوربا الوسيطة، ترجمة علي زيعور وعلي مقلد، بيروت، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، 1993.

9-حسن حنفي: نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط أوغسطين –أنسلم – توما الأكويني، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1978.

10- حورية توفيق مجاهد: الفكر السياسي من أفلاطون إلي محمد عبده، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط7، 2019.

11-زينب محمود الخضيري: لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 1998

12-عبد الرحمن بدوي: فلسفة العصور الوسطي، بيروت – لبنان، دار القلم، ط3، 1979.

13- علي زيعور: أوغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطية، بيروت –لبنان، دار أقرأ، ط1، 1983.

14- فراس سواح: ألغاز الإنجيل، دمشق – سوريا، دار التكوين للتأليف والنشر، ط2، 2012.

15-كامل محمد محمد عويضة: الفلسفة المسيحية في العصور الوسطي،، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1993.

16-مصطفي النشار: العلاج بالفلسفة، القاهرة، الدار المصرية السعودية، ط1، 2010.

17- يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012.

(ب) الأجنبية:

20- David Seeley: Deconstructing the New Teatament ,Brill,press U.S.A, 1994.

21- Christopher Kirwan: Augustine,New York, Routledge, London, 1989.

22-Eleonore Stump, Norman Kretzmann: The Cambridge Companion to Augestine, Cambrideg University Press, 2001.

23-George W.Osmun: Augestine The Thinker, Cincinnati, Jennings and Graham press, 1906.

24-Norman Hepburn Baynes: The Political Ideas Saint Augustine The Historical Association, London, 1963.

25-Rebecca West: St Augestine, Edinburgh, Peter Davies limited, 1930.

ثالثًا: المعاجم والموسوعات (أ) العربية:

18-جورج طرابيشي: المعجم الفلسفي، (مادة: امبرواز، بيلاجيوس، شيشرون)، بيروت، دار الطليعة، ط3، 2006.

19-فؤاد كامل: الموسوعة الفلسفية المختصرة، (مادة: أوغسطين)، ترجمة ومراجعة زكي نجيب محمود، بيروت، دار القلم، د.ت

(ب)الأجنبية:

26-William.L.Resse: Dictionary of philosophy and Reliogion Eastern and Western Thought, (Material: Manichaeism), New Jersery press Sussex, Harvester, Humanities press 1980.